الكرسي الرسولي

الزّيارة الرّسوليّة إلى الأوروغواي والأرجنتين والبيرو

6-17 تشرين الثّاني/نوفمبر 2026

كلمة قداسة البابا لاوُن الرّابع عشر

في اللقاء مع الأساقفة والكهنة والشّمامسة والرّهبان والرّاهبات والإكليريكيّين والعاملين الرّعويّين

في كاتدرائيّة انتقال سيِّدتنا مريم العذراء - قرطبة

الثّلاثاء 10 تشرين الثّاني/نوفمبر 2026

[Multimedia]

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء في المسيح يسوع،

أودّ أن أبدأ وأشكر الكاردينال روسّي (Rossi) على كلامه، وأشكر أيضًا الذين شاركونا شهاداتهم، وأشكركم جميعًا على المودّة التي استقبلتموني بها. يسعدني جدًّا أن أكون معكم اليوم، أنتم المكرّسون، والإكليريكيّون، والكهنة والمعمّدون جميعًا الذين وهبتم حياتكم لخدمة الرّبّ يسوع وشعبه.

أثناء هذه التّرنيمة الأخيرة، رفع كثيرون منكم أياديهم عاليًا، ربّما ليسلّموا عليّ، وربّما ليرافقوا التّرنيمة. هذه هي الأيادي التي يبحث عنها يسوع، وهو يريد أياديكم لمواصلة رسالته.

وأنا أُعِدّ هذا الكلام، عادت إلى ذهني الرّياضات الرّوحيّة، التي تحتلّ مكانة مهمّة في تاريخ هذه الأرض. كانت مصادفة سعيدة أن أصغي إلى الرّاهبة ماريّا إليزابيت وهي تستعيد إحدى تأمّلاتها. فعندما أوشكت ممارسة هذه الرّياضات الرّوحيّة أن تزول، قطعت الأمّ أنتولا (Antula) مسافات شاسعة لكي تُبقيها في متناول الجميع. وبعد عقود من الزّمن، جعل القدّيس كورا بروتشيرو (Cura Brochero) هذه الرّياضات عنصرًا أساسيًّا في خدمته، فعبر الجبال برفقة أبناء وطنه، قاصدًا هذه المدينة، حتّى يتسنّى لهم أن يلتقوا مع الله شخصيًّا. في الآونة الأخيرة، حمل راهبٌ يسوعيّ أرجنتينيّ، هو البابا فرنسيس، غنى روحانيّة القدّيس أغناطيوس وشاركها مع الكنيسة الجامعة.

اليوم أيضًا، يعتكف الكهنة والإكليريكيّون والعائلات الرّهبانيّة والعلمانيّون، لكي يلتزموا الصّمت ويسألوا أنفسهم من جديد، أمام الله، ما الذي يريده هو من حياتهم. لذلك، أودّ أن ترافقنا في هذا المساء بعض الأسئلة التي تطرحها الرّياضات الرّوحيّة. القدّيس أغناطيوس يبدأ بالتأمّل في "المبدأ والأساس" (راجع رقم 23). لذلك، فالسّؤال الأوّل هو: لماذا نحن هنا؟ قبل أيّة مسؤوليّة أو خدمة أو مهمّة، كانت هناك دعوة. مرّ المسيح ذات يوم في حياتنا، ودعانا، فأدركنا أنّ الأمر يستحقّ أن نتبعه. وكلّ ما سيأتي بعد ذلك كان ينبغي أن يبقى نابعًا من تلك الـ"نعم" الأولى.

مع مرور السّنين، قد يحدث أمرٌ متناقض: أن نعمل كثيرًا من أجل الله، ونقضي وقتًا أقلّ فأقلّ معه. نستمرّ في الخدمة والاحتفال بالأسرار المقدّسة والاهتمام بالمهامّ الضّروريّة الكثيرة، لكنّنا ننتهي في أن نتّكل على ما نعمله أكثر من اتّكالنا على الذي من أجله نعمل ذلك. هكذا، يعيد "المبدأ والأساس" كلّ شيء إلى موضعه الصّحيح: حياتنا هي لله، ولا تجد نظامها الصّحيح إلاّ عندما يكون هو محور كلّ شيء. لنعد، إذًا، ببساطة إلى الإفخارستيّا، وإلى إصغائنا إلى كلمة الله، وإلى تلك العلاقة مع الرّبّ يسوع التي تعزّز كلّ شيء. لنحافظ على تلك النّار التي في يومٍ ما أشعلت دعوتنا، ولا نسمح للأمور الطّارئة أو التّعب أو الرّوتين بأن تُطفئها.

ثمّ، خلال الرّياضات الرّوحيّة، نجد أنفسنا أمام أسئلة لا يمكننا التهرّب منها: ما الذي اختلّ في داخلنا؟ وفي ماذا خذلنا الله؟ (راجع الأرقام 32-43). فبعد سنوات قليلة أو كثيرة من قولنا "نعم" للمعلّم، يمكننا أن نعتاد على أمور كانت تثير قلقنا في الماضي: قسوتنا مع الآخرين، ومقاومة السّماح لأنفسنا بأن يتمّ تصحيحنا، والتّنافس، والتّعلّقات العاطفيّة، والخطايا أو التّعلّقات التي تسلب منّا حرّيّتنا تدريجيًّا. قد يحدث أمر أكثر خطورة من ذلك: أن نتعلّم أن نبرّر كلّ شيء، ونجد "أسبابًا رعويّة" أو جماعيّة أو شخصيّة لتبرير ما نعلم أنّه ليس صوابًا.

نخطئ أيضًا عندما لا نعمل الخير الذي كان يجب أن نعمله: عندما لا نصغي بصبر بشكلٍ كافٍ، أو عندما نختار الرّاحة، أو عندما نلتزم الصّمت أمام أمر كان يجب أن نواجهه. لا يوجد عمر يمكن فيه أن نستغني عن التّوبة. نحن بحاجة إلى فحص الضّمير، واللجوء إلى سرّ الاعتراف بخطايانا، والحفاظ على تواضعنا لنسمح لأنفسنا بأن يتمّ تصحيحنا. أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، لتكن لنا الشّجاعة في أن نعترف بوضوح بماذا لم نكن مخلصين إلى الله، ولنضعه أمام رحمته.

بعد أن ننظر مباشرةً إلى خطيئتنا، القدّيس أغناطيوس يضعنا أمام المسيح، الملك الأبديّ (راجع الأرقام 91-98)، الذي لا يزال يدعو ويُرسل. كان الرّبّ يسوع يعلَم من أيّة طينة جُبلنا، ومع ذلك أراد أن يعتمد علينا (راجع 2 قورنتس 4، 7). لذلك، ليس السّؤال كم مرّة خذلناه، بل هل ما زلنا مستعدّين لأن نخدمه؟ ففي بداية الدّعوة، نميل إلى أن نقدّم له كلّ شيء. ثمّ تمضي السّنوات، وتأتي الأمور التي نريدها، والأماكن التي نشعر فيها بالرّاحة، وفكرة كيف يجب أن تستمرّ مسيرتنا. هل لا يزال الرّبّ يسوع قادرًا على أن يرسلنا إلى مكانٍ لم نفكّر فيه؟ وهل يمكنه أن يطلب منّا أن نترك شيئًا كرّسنا له سنوات، أو أن نقبل مهمّة لم نكن لنختارها أبدًا؟

هذه الحرّيّة هي التي تتطهّر بتأمّلاتنا في "العَلَمين"، و"السّكَك الثّلاثة" و"الاختيار" (راجع الأرقام 136-189): أي أن نتعلّم كيف نميّز ما يقيّدنا، وما يؤثّر في قراراتنا، وإلى أيّ حدّ نحن مستعدّون لأن ندع الله يعمل في حياتنا. في الواقع، نحن أُرسلنا إلى شعب، ويجب علينا أن نتساءل ما الذي دُعينا لأن نقدّمه له. أيّها الإكليريكيّون الأعزّاء، تعلّموا أن تنظروا بعينَي الله، وأن تسمحوا لشعبه بأن يبشّركم. فالذي يملك القليل يستطيع هو أيضًا أن يعلّمنا الكثير، كما اكتشف خوليان (Julián) أثناء القدّاس.

الكنيسة التي في مسيرة في الأرجنتين تتميّز بحساسيّة حيّة جدًّا تجاه الاحتياجات الاجتماعيّة لأبنائها. من هذه الحساسيّة انبثقت مبادرات حضورٍ سخيّة كثيرة إلى جانب المتألّمين. هذا القرب يجب أن يقودنا إلى أبعد من ذلك، لأنّ كلّ إنسان نخدمه مدعوّ إلى أن يلتقي بالمسيح وإلى أن يتغيّر به. عبّر البابا فرنسيس عن ذلك بكلام يستحقّ أن نتذكّره: "إنّ أسوأ تمييز يتألّم منه الفقراء هو انعدام العناية الرّوحيّة" (*فرح الإنجيل*، 200).

الجوع والظّلم يلحّان علينا ويطالباننا بإجابة. كذلك المرض والوحدة وانعدام فرص العمل أو عدم توفّر مسكن لائق. المحبّة المسيحيّة تلتزم بجدّيّة تجاه كلّ هذه الأمور. دون أن ننسى أنّ من يتألّم يحتاج إلى أن يتلقّى منّا العطيّة الأكبر

بعد الاختيار، الرّياضات الرّوحيّة تقود الذي يقوم بها إلى البقاء مع المسيح في آلامه (راجع الأرقام 190-217). فالذي اختار أن يتبع الربّ يسوع يتعلّم عندئذٍ أن يبقى معه عندما يمرّ هذا الاتّباع عبر الصّليب (راجع لوقا 9، 23). دعوتنا أيضًا تعرف هذه اللحظات: عندما لا نرى الثّمار، وعندما تصير الخدمة شاقّة، وعندما لا يعود الحماس الذي ميّز السّنوات الأولى كافيًا ليعزّز الأمانة. كثيرون منكم يعرفون جيّدًا هذا النّوع من الأمانة المرهقة: الاستمرار في الصّلاة عندما تصير الصّلاة جافّة، ومواصلة الخدمة عندما يبدو أنّ شيئًا لا يتغيّر، رغم كلّ الجهود. هناك مراحل في الحياة الكهنوتيّة والرّهبانيّة يكون فيها مجرّد الثّبات في حدّ ذاته شكلًا ملموسًا جدًّا من أشكال البذل والعطاء. فحتّى مع وجود الشّكوك والتّعب، يستمرّ الإنسان في أن يقول بحياته: "هاءنذا".

القدّيس هكتور فالديفييلسو (Héctor Valdivielso)، أوّل قدّيس أرجنتينيّ، هو مثال يُحتذى به في هذه الأمانة. كان في الرّابعة والعشرين من عمره فقط، وكان قد أنهى رياضاته الرّوحيّة السّنويّة، حين ساندته صلاته التي قدّمها لله في محنته. هكذا، صارت الصّلاة شهادة، وبلغت الشّهادة حدّ سفك دمه.

هناك أيضًا أشكال أخرى للشهادة للإيمان، بالمثابرة وسط الألم. لاورا والأب مارتين جعلاني أفكّر في فترة دخولي المستشفى مؤخّرًا، وجعلاني أتذكّر أيضًا كورا بروتشيرو (Cura Brochero) الذي استمرّ في خدمة شعبه، رغم إصابته بالعمى ومرض الجذام. في أيّامنا هذه، فكرة الاستعانة بالتّكنولوجيا لمواصلة أداء الشّهادة أمر رائع، لذلك كونوا مبدعين، وابحثوا عن أساليب جديدة لمواصلة البشارة بالإنجيل. أيّها الأصدقاء الأعزّاء، تذكّروا أنّ ما يبشّر بالإنجيل حقًّا هو الطّريقة التي نعيش بها دعوتنا. فلا العمر ولا محدوديّة الجسد يستطيعان أن يطفآ حماسنا: قد تنفد قوانا، لكنّ قدرة الله لا تنفد أبدًا.

هذه القوّة تتجلّى في قيامة الربّ يسوع من بين الأموات. القدّيس أغناطيوس يقود من يقوم بالرّياضة الرّوحيّة إلى التّأمّل في المسيح القائم من بين الأموات، ويطلب منه أن يتأمّل كيف يمارس المسيح "مهمّة التّعزية" (رقم 224). هناك يعلّمنا أن نكتشف أين يعمل المعلّم، وأن نتلقّى منه القوّة للعودة إلى الرّسالة. الكنيسة التي في مسيرة في الأرجنتين تحتاج هي أيضًا إلى أن تنظر إلى نفسها، وتعترف بشكر وعرفان بما يعمل الله فيها، وتتساءل عن الطّرق الجديدة التي يريد الله أن يفتحها أمامها. فالمسيح القائم من بين الأموات موجود هناك، وهو يسبقنا (راجع متّى 28، 7).

في نهاية الرّياضات الرّوحيّة، التأمّل لبلوغ المحبّة يدعونا إلى أن نتأمّل في مقدار ما نلناه من الله (راجع الأرقام 230-237). أمام كلّ هذه العطايا، القدّيس أغناطيوس يقترح أن يكون جوابنا: "خذ يا ربّ، واقبل..." (رقم 234). هكذا تنتهي مسيرة الرّياضات الرّوحيّة حيث بدأت كلّها: في حياة تضع نفسها من جديد في تصرّف الله، بما فيها من إمكانيّات وحدود أيضًا. ربّما يكون السّؤال الذي نحاول أن نجيب عليه اليوم هو: هل لا يزال الربّ يسوع قادرًا على أن يتصرّف في حياتي؟ وإن كانت الإجابة لا تزال "نعم"، فهذا يعني أنّ أمامنا الكثير لنحقّقه. لا نستسلم! لا يزال يسوع يسير مع كنيسته، ويجعل حياة الذين يضعون أنفسهم بين يديه مثمرة.

الأرجنتين تعرف جيّدًا ما يستطيع الله أن يعمله بحياة تضع نفسها في تصرّفه. فقد وصلت الأمّ أنتولا (Antula) إلى بوينس آيرس حافية القدَمَين، ولم يكن معها سوى صليب: كانت تحمل القليل، لكنّه كان كافيًا للبدء. وواصل بروتشيرو (Brochero) البشارة بالإنجيل، حتّى عندما لم يكن يشهد على تعبه في كثير من الأحيان سوى الله وبغلته. أمّا الطّوباويّ سيفيرينو (Ceferino)، فقد مات قبل أن يبلغ التّاسعة عشرة من عمره. لم يكن لديه الوقت ليكبر ويشيخ، لكنّه استطاع أن يوضّح لمَن أراد أن يعيش. الله ما زال يفيض نعمته، ويريد أن يعتمد عليكم لإيصالها من لا كوياكا (La Quiaca) إلى أوشوايا (Ushuaia)، وإلى أقصى بقعة من بقاع الأرض (راجع مرقس 16، 15).

تشجّعوا وانظروا إلى الأرجنتين بعينَي الله! احلموا بشباب يتساءلون عمّا إن كان المسيح يدعوهم، وبرعايا تكون جماعات حيّة للإيمان، وبعائلات رهبانيّة تتحلّى بجرأة مؤسّسيها، وبإكليريكيّات وبيوت ابتداء يتكوّن فيها قدّيسين... احلموا بكنيسة تواصل في إحداث "ضجّة"، كما طلب منكم مواطنكم البابا فرنسيس! (راجع *اللقاء مع الشباب الأرجنتينيّين*، ريو دي جانيرو، 25 تمّوز/يوليو 2013). ضجّة تدفعها إلى بلوغ جميع الأماكن، وتجعل إنجيل يسوع المسيح

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، إن كان هناك أمر تعلّمنا إيّاه الرّياضات الرّوحيّة، فهو أنّه بعد أن ننظر إلى حياتنا أمام الله، يجب أن نعود إليها وقد تغيّرنا. لنعد إلى جماعاتنا حاملين الرّجاء والحرّيّة والرّغبة في مواصلة الخدمة. ربّما لن نرى كلّ ما سيصنعه الله بما نزرعه اليوم، ولم يرى ذلك حتّى الذين سبقونا، لكنّنا ما كنّا لنكون هنا اليوم لولا تفانيهم وبذلهم لذواتهم.

ليجد الله فينا رجالًا ونساءً مستعدّين لاتّباعه، ويسمحون له بأن يكوّنهم بمحبّته. أناسًا لا "يستسلمون" حتّى يبلغوا القداسة. صنع الرّبّ يسوع أمورًا عظيمة في هذه الأرض، وأنا مقتنع بأنّه سيصنع فيها أمورًا كثيرة أخرى. لترافق سيّدتنا مريم العذراء، سيّدة لوخان، هذه المسيرة، وتساعدنا لنقول للرّبّ يسوع، بشهادة حياتنا، إنّه لا يزال يستطيع أن يعتمد علينا. شكرًا جزيلًا.

****

2026 نانيكافلا ةرضاح – ةظوفحم قوقحلا عيمج ©

Copyright © Dicastero per la Comunicazione - Libreria Editrice Vaticana